بصمات في تاريخ الكويت

طائر الفجر

الشهيد ميثم حسين علوم حسين المولي

تخليد ورعاية

طائر الفجر

عن قصة الشهيد(*)

ميثم حسين غلوم حسين المولي

بقلم

خالد صالح الحربي

(*) تمت الاستعانة بحيثيات الشهيد من كتاب «شهداء الكويت: بطولاتهم وتضحياتهم، الجزء الخامس، مجموعة مؤلفين ، ص ١٤٤ – ١٥٢ .

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

813 الحربي ، خالد صالح فهد.
طائر الفجر : الشهيد ميثم حسين غلوم حسين المولى/خالد صالح فهد الحربي.-
ط2. - الكويت: مكتب الشهيد، 2013
42 ص ؛ 21 سم.- (بصمات في تاريخ الكويت)
ردمك : 0 - 36 - 84 - 99906 - 978
1 - القصة العربية - الكويت.
2 - الشهيد ميثم حسين غلوم حسين المولى.
أ- العنوان. ب- السلسلة

ردمك : **0 - 36 - 84 - 99906 - 978**

رقم الإيداع : **061 / 2011**

«إهـــــداء»

إلى أرضـــي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضيحة والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد
المدير العام لمكتب الشهيد
فاطمه أحمد الأمير

الكرة تندفع بقوة زاحفة على سطح الماء بعد أن قذفها أحدهم في اتجاه محدد ،في حين يسرع آخر ليلحق بها سباحة بسرعة وإقدام، ما كاد يصل إليها حتى التقطها وهو يحاول أن يثبت نفسه طافياً على وجه الماء. ينظر يميناً ويساراً في بحث محموم عن زميل آخر ليمرر له الكرة، عندما اندفع نحوه ثلاثة سباحين من جهات مختلفة بشكل سريع في محاولة لخطف الكرة منه، فما لبث أن عاود السباحة بشكل تلقائي ليبتعد عنهم، ويتجه نحو المرمى في جد واجتهاد. الكرة تتقدمه بمسافة بسيطة بفعل دفعه المتواصل لها على الماء، وهو يسرع في سباحته المحمومة باتجاه المرمى الآخر، في حين يسعى السباحون الثلاثة بمطاردته، إنه لسباق مثير بينه وبين الكرة الزاحفة أمامه من جهة، والآخرون القادمون من ورائه من جهة أخرى. وصل إلى نقطة قريبة، توقف، ثم رفع الكرة بيد واحدة، نظر اتجاه ذلك الرجل الطافي أمامه والذي يسد عليه الطريق. بادله الرجل نفس النظرة في محاولة منه لقراءة ما ينوي فعله. هنا باغت هو الرجل بقذفه الكرة في زاوية ضيقة على يمينه، لم يستطع أن يلتقطها فاستقرت الكرة في المرمى من ورائه. لقد سجل هدفاً رائعاً.

انطلقت صفارة طويلة أخذت بالاتساع لتشمل حوض السباحة المغطى، التفت اللاعبون جميعاً إلى مصدرها، فإذ بالمدرب الذي يقف على حافة الحوض يعلن نهاية التدريب، قال بصوت عال:

«كفى الآن يا شباب، لقد انتهى التدريب اليوم، هيا اخرجوا من الحوض...»

تحـــرك اللاعبون امتثالا لأمره، وهو من بينهم. ما أن لمحه المدرب حتى أشار إليه قائلاً:

«برافو ميثم... لقد سجلت هدفاً رائعاً...»

بادله الابتســـام ثم خـــرج من الحوض ســـائراً إلى غرف الاســـتحمام وتبديل الملابس وهو يتبـــادل النكات والضحكات مع زملائه اللاعبين.

إنه ميثم حســـين غلوم حســـين المولى لاعـــب فريق نادي القادســـية والمنتخب الكويتي لكرة المـــاء، المولود في الخامس والعشـــرين من ديســـمبر عام ألف وتســـعمائة وتسعة وستين ميلادي، إنه بطل هذه القصة التي هي في الأصل ملحمة من ملاحـــم الفداء والوفاء لوطننا الحبيب خلال فترة من أســـوأ فترات تاريخنا الحديث، فترة الاحتلال العراقي الغاشم. ميثم طالب في الســـنة الثانية قســـم التربية البدنية، بكلية التربية الأساســـية. وهو الابن الأوســـط بين خمسة أخوة. يحب لعب كرة القدم في أوقات فراغه.

ميثم شـــخص اجتماعي ذو مكانة محببة بين أفراد عائلته وأقربائه وأصدقائه يتمتع بدماثة الخلق وطيبة القلب والتواضع، حتى أطلق عليه لقب «الجوهرة» في محيطه الاجتماعي، ذلك ما صنع منه فيما بعد نموذجاً تحتذي به الأجيال.

***

الطريق طويل، ودوي محرك حافلة الركاب الكبيرة يملأ فراغهـــا الداخلي، الركاب ما بين نائم أو يقرأ أو يتحدث إلى الآخريـــن كنوع من تزجية الوقت. ميثم كان مســـترخياً على كرســـيه، وقد أراح رأســـه إلى الخلف وهـــو ينظر من خلال النافـــذة إلى الأراضي الزراعية والقـــرى التي تمر بها. هذا ما يحتاجه حالياً فالرحلة من تركيا حيث المعســـكر التدريبي لمنتخـــب الكويت لكرة الماء طويلة حقـــاً عبر البر، بما يتخلله من عبور للأراضي العراقية الشاسعة لهو أمر مثير للضجر. مـــا أن تخطت الحافلة نطاق البصـــرة الأخضر، ودخلت إلى النطـــاق الصحـــراوي الأصفر حتى شـــعر بالارتيـــاح لقرب الوصول إلى الوطن الحبيب الكويت.

تنفس الصعداء، وغاص في مخيلته وهو يستعجل الحافلة لعبور الحدود بكل لهفة وهو يقول في نفسه:

«آه ... مـــا أجمل العودة للوطن... فعلى الرغم من جمال البلاد التي كنا فيها بما تحويه من ماء وخضرة ووجه حسن، إلا أن منظـــر الصحراء الـــذي يذكرني ببـــلادي يظل دائما الأجمل الأروع في نظري...»

التفـــت إلى زميله الذي يجلس بجانبه، وتبادل ابتســـامة معه، دليلاً على شعورهما بالسعادة لقرب العودة إلى الوطن. أشـــاح بوجهه إلى نفس المنظر الغامر لتلك الرمال الصفراء، ثم راح يدندن لحناً محبباً لنفســـه يذكره بأغنية شعبية أراد مراراً أن يجرب غناءها في إحدى الجلسات الخاصة.

لــم تدم تلك اللحظة طويلاً، فإذ بالمشــهد يتبدل بشــكل غريب. آلاف السيارات والآليات العسكرية والدبابات تمتد في صفوف طويلة على الرمال إلى ما لا نهاية، وجنود في ملابس الحرب الجاهزة. مشــهد غريب ومخيف، فغابت الابتســامة من على شــفاه ميثم وتبدلت نظرته إلى مزيج من الاستغراب والقلق مما يجري من حوله.

التفــت إلى صديقه، الــذي كان قد بدأ يستســلم لقيلولة بسيطة من النوم، فهزه منبهاً، ففتح عينيه مستفسراً:

«ميثم.. ما بك؟!...»

رد ميثم بصوت تعلوه نبرة مشوبة بالدهشة:

«انظر إلى كل تلك الحشــود والأرتال العســكرية العراقية علــى الحدود مع بلادنا ... ما الذي يحدث؟!... هل ستنشــب حرب ما؟ أم ماذا؟!...»

نظر زميله إلى المشهد نفسه، فانتابه نفس الشعور، وسرعان ما ســرت عدوى الاســتغراب والقلق بين الركاب في الحافلة وهم ينظرون إلى جانبي الحافلة وهي تشق طريقها دون توقف باتجاه مركــز الحدود. تعالت همهمــات وأحاديث جانبية بين الركاب حول ما يجري بالخارج. ثم ارتفع صوت أحدهم وكأنه يعلن احتجاجه ويوجه كلامه للسائق بشكل هزلي:

«مالذي يحــدث في الخارج؟! ... هــل نحن لا نزال في الطريــق إلى الكويت، أم أنكم أضعتم الطريق وذهبتم بنا إلى الحدود مع إيران؟!...»

ضحــك بعض الحضــور من تلك الطرفــة، فما كان من الإداري الجالس في المقعد الأمامي بالقرب من الســائق إلا أن تكلم بصوت عال دون أن يلتفت إلى ورائه، وكأنه يرد على تلك الطرفة، بنبرة أراد بها أن تكون رسمية:

«لا شيء هناك يســتوجب القلق، إنها مناورات عسكرية عراقية في المــكان لا أكثر ولا أقل، ولو كان الأمر غير ذلك، لما مررنا من بينهم بهذه السهولة...»

ما أن أتم جملته حتى ساد الصمت المريب أرجاء الحافلة دليلاً على القلق من ذلك، ثم تبادل (الإداري) والمدرب بجانبه نظرة ذات مغزى.

عندما وصلوا إلى الكويت، وجد ميثم أهله في اســتقباله بلهفــة وشــوق. وحين اســتقر أخبر أهله بموضــوع الأرتال العســكرية العراقية على الحدود مع الكويت، ســاد الوجوم بين الجميع حيال تلك المســألة، لكن والده قال محاولاً عدم إثارة المخاوف:» لا داعي للقلق، لعلها مســألة مناورات فقط لا أكثر، لنتحلّ بالأيمان، ولا نستبق الأحداث».

لكن، لم يمـــر على تلك الحادثة أكثر من أســـبوعين حتى جاء التأكيد واضحاً. فبينما كان ميثم نائماً، شعر بمن يحاول إيقاظه برفق، ما أن فتح عينيه حتى وجد أباه أمامه يقول له: «أنهض... هناك أمر خطر قد حدث...»

لم يســـتطع والده أن يكمل لهول المفاجأة، الأمر الذي دفع ميثم لكي يبادر متسائلاً وهو يفرك عينيه لطرد النعاس:

«ماذا حدث يا أبي؟!...»

وأستطرد بعد أن نظر حوله

«ما هي الساعة الآن؟!...»

رد الأب باقتباض:

«نحن الآن قرب صلاة الفجر...»

ثـــم لزم الصمت برهة،نظرميثم إليه وهو قلق، وعندما هم بمعاودة ســـؤاله عن ســـبب إيقاظه، تكلم والده بصوت هادئ حاول أن يتمالك أعصابه من خلاله:

«لقـــد اجتاحت القـــوات العراقية دولتنا فـــي عملية غزو غاشم منذ بضع ساعات، ليكن الله في عوننا، ويتولانا بحفظه ورحمته...»

ومــع تلك الصدمة التي لم تغمر ميثم فحســب، بل وكل الشعب الكويتي من مواطنين ومقيمين، بزغ فجر حقبة مظلمة في تاريخ البلاد، لا يمكن أن تنسى مهما طال الأمد.

***

الدبابات تمخر الشوارع زائرة كوحوش ضخمة مستبدلة الصورة المســالمة لتلك الأماكن بصورة تمتلــئ رعباً ورهبة. الطائرات العمودية بصوتها الرهيب تحلق فوق المنازل والأبنية العالية طاردة الطيور المحلقة بســلام، وملوثة ســماء البلاد الصافية. جحافل من الجنود كالحي الوجوه بملابســهم ذات اللون الرملي الملوثة بالعرق والغبار، متمنطقين بذلك السلاح الســوفيتي المعروف عالميا الذي خلت منه أيدي العســكريين الكويتيــين، ويدبون بأحذيتهم الثقيلــة والقذرة على الأرض الطاهرة بخطى ثقيلة الوطء عليها وعلى قلوب ذلك الشــعب المسالم ليحل الخوف والرعب محل ليلهم الآمن.

الوجوم والذهول هما الســمتان الســائدتان على وجوه الشعب الكويتي الذي لم يتخيل مثل هذه الصدمة في تاريخه المسالم مع الشــعوب والدول، وممن بالتحديد؟!... من ذلك الجــار الذي ارتبط به ارتباطا وثيقــاً بالدين والعرق واللغة والتاريخ والنسب. الجار الذي إذا طلب وجد الدعم والتأييد بالغالي والنفيس طوال حرب طاحنة مع جار مسلم آخر أكلت الأخضر واليابس.

وها هو الجار يرد الشـــكر، ولكن بشـــكل آخر لا يدل على الامتنان، بل بالغطرسة والظلم والعدوان.

الجـــار العراقي، والأخ الأكبر الذي يفترض أن يحمي أخاه الأصغر، لكنه ينقض عليه ويلتهمه كوحش جائع ضارباً بعرض الحائـــط كل أواصر العلاقة التي تربطه بذلك الجار الصغير، وجلس يمضغ فريســـته على أشـــلاء مبادئ وأحـــلام الوحدة العربية الكبرى من المحيط إلى الخليج.

النـــاس في كل مـــكان يتجرعون المـــرارة والألم، وجوههم يكســـوها الحزن والبكاء والأسى على حياتهم الهانئة، وقلوبهم تقطر دماً على هول الخيانة. كل ليلة تلتف الأسر حول أجهزة المذيـــاع، تنتظر بلهفة ورجاء الأخبـــار التي قد تنقل لهم الأمل بفـــرج قريب، أو صحوة ضميـــر لذلك الجار فيعود عن خطئه الفادح، فتعود الأمة إلى ســـابق عهدها. ولكن هيهات، كل يوم يمـــر على تلك الجريمة، تتمادى الرؤى الظالمة في مســـارها، ويـــزداد الجرح عمقـــاً ، ويجثم الظلـــم كالكابوس على صدور القوم أكثر من ذي قبل. إن تلك المأساة لن تكون نهايتها قريبة، وقد تماثل مأساة لازلنا جميعاً نتجرع مرارتها حتى يومنا هذا في مكان آخر عزيز علينا.

جلس ميثم وســـط أســـرته في تلك الليلـــة الظلماء حول المذياع مثل بقية من ينتظرون الفرج. الأخبار لا تحمل الجديد، والموقف يتأزم بشكل مثير، والشائعات تملأ المنطقة عن حوادث

إطلاق نار واعتقال وضرب واقتحام منازل وسطو واستيلاء على الممتلكات بالقوة واغتصاب وكل ما يمكن أن يثير الخوف والهلع للأسر التي عاشت عقوداً من الأمان.

الجميع خائفون مما قد تجلبه الأيام القادمة، فحتى لو اتضح أن كل تلك الأمور إشاعات يطلقها العدو العراقي بغرض إفراغ المنطقة من أهلها كنوع من التطهير العرقي، لبسط سياسة الأمر الواقع وتغيير هوية المكان، إلا أن ثمة خوفاً من نوع آخر، ألا وهو قلة المواد الغذائية، بعد أن تم نهب الجمعيات التعاونية والمتاجر والمخازن من كل ما تحويه من غذاء أو شراب على أيدي الغوغاء الذين جاءوا مرافقين لجيش الغزاة، وهذا بحد ذاته ينذر بكارثة رهيبة قد تضرب المعنويات وتضر بالقوم الذين صمدوا في وجه الغازي.

الأقاويل كثيرة عن أن جمعية الشعب (المنطقة التي يقطن فيها ميثم) قد نهبت بالكامل، وأن ما بقي من مخزون تريد سلطات الاحتلال أن تستولي عليه. بدا القلق والخوف واضحين على ملامح الجالسين، وخاصة النساء اللاتي أصبحن لا ينمن بشكل جيد والأرق يتسيد لياليهن.

دار الحديث بين ميثم وأسرته عن أن أقاربهم ينوون الخروج من الكويت، عن طريق البر إلى الجمهورية الإسلامة الإيرانية.

فتسائل ميثم قائلا:

«كيــف يمكن لهم الخروج بنســائهم وأطفالهم عبر حدود مطوقة بالجنود دون أن يحدث لهم شــيء، وإلى أين؟! ... إلى إيران الدولة التي تحاربت معهم بشــكل دمــوي طوال ثماني سنوات، هل تعتقدون أن الغزاة العراقيين سوف يسمحون لهم بالمرور».

رد عليه أخوه الكبير (علي):

«إن هنــاك من الكويتيين من يقومون بعمل وطني بالتعاون مع ســفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي ظلت صامدة لم تغــادر الكويت رغم تهديدات الغزاة، ويقومون باســتخراج وثائق إيرانية للكويتيين لكي يتسنى لهم الخروج والدخول إلى إيــران عبر الحــدود العراقية المتفق عليهــا بعد وقف إطلاق النار. وســيمر الكويتيون على أنهم رعايــا إيرانيون دون علم العراقيين، كما أنهم لن يتعرضوا لأي مضايقات من قبلهم».

أخذت الأسرة تتباحث في هذا الأمر جيدا، وسط اختلاف واضــح في وجهات النظــر، الأب والأم يريدان أن يخرج ميثم وأخوته برفقة النساء إلى إيران عند أقاربهم، مخافة أن يقعوا في قبضة العراقيين، وبذلك يكونون بأمان خارج الكويت.

أما الرأي الآخر فقد ساد الموقف، بعد أن أعلنه ميثم بإباء وشمم قائلاً:

«مهما حدث في الأيام المقبلة من أحداث، فلن تثنينا عن عزمنا على الصمود والبقاء هنا لمواجهة هذا الغازي البغيض، لن نخرج من الكويت بلدنا الغالية، نحن لا نملك إلا بلدنا، ولا نريد أن نذل إلى قوم آخرين ونحن قوم عشنا في عزة وكرام. لا نريد أن نذهب إلى بلد آخر يصفونا باللاجئين.

نحن قوم ذوو نفوس عزيزة لا ترضى الذل من أجل الأمان، هـذا هو رأيي ولن أبدله حتى لو ذهبتـم جميعاً، وظللت هنا وحدي سوف ابق حيث ولدت، وسأموت هنا». وعلى الرغم من إلحاح والدته القلقة على سـلامته، إلا أنه وأخوته لم يغيروا رأيهم في ذلك الأمر فحسم الأمر ببقاء الأسرة.

***

الأمور تزداد صعوبة، لكن الشعب يزداد تماسكاً وصلابة وصمـوداً إزاء تلك المصيبة، ويقدم كل يوم نماذج من المواقف المشرفة والبطولية التي تعكس معدنه النفيس وتبرز سجاياه وخصاله الحميدة.

العمل فـي الجمعية التعاونية بـدأ ينتظم بجماعات من الشبان المتطوعين، أما غذاء الشعب الرئيسي (الخبز)، فقد تشكلت مجموعة أخرى من الشبان لإدارة مخبز الشعب الآلي التابع لشـركة المخابز الكويتية، ميثم انضم هو وإخوانه إلى تلك المجموعة الأخيرة بتشجيع من أبيهم، وعمل توزيع الخبز

على المواطنين، كما كان يجلب الخبز ويوزعه على سكان الحي الذي يعيش فيه، ويترك كمية منه عند والدته لتوزعه على من هو محتاج.

مع مـــرور الأيام، وانعدام خدمات الحيـــاة اليومية، بدأت تزداد القمامة في الأحياء، ناشـــرة رائحتها الكريهة، ومهددة السكان بنوع آخر من الكوارث، لا يقل خطورة عن أزمات الغذاء والوقـــود والخبز والدواء، إنها الأمراض المعدية التي تســـببها القامـــة. لكن ذلك لم يفت بعض النـــاس، فتطوعت مجموعة أخرى من الشبان، بعضهم ممن يعملون في الجمعية التعاونية، في التحرك في ســـيارات نقل خاصة لنقل القمامة بعيدا عن الأحياء وحرقها هناك. ميثم قاد إحدى ســـيارات البلدية التي نجت من اليد الســـالبة لقوات الاحتلال فـــي مصادرة آليات الحكومة ونقلها إلى بغداد، واســـتخدمها في نقل القمامة في الحي، عمل وزملاؤه فـــي التخلص من النفايات الضارة بعمل شاق يليق بشباب وطني مؤمن بعدالة قضيته.

كانت معنويات ميثم عالية دائماً، والابتسامة لا تفارق وجهه ذا الإطلالة المشـــرقة. يتحرك بين الناس باثاً الحماس بينهم، طارداً بابتســـامته القنوط واليأس المحيط به. انتظم بالذهاب بشـــكل منتظم إلى ديوانية بالقرب من منزله، وهي بمثابة ناد يتناول فيه الرجال شـــتى أمور حياتهم، وكان لها دور فعال في مشاركته في أنشطة المقاومة والصمود بما كانت تبثه من أمور تثبت النفوس وترفع المعنويات بين الناس.

فأخذ يقضي معظم أمسياته فيها، وفي بعض الأحيان يقضي ليلته فيها مع بقية أصدقائه، عندما تفرض قوات الاحتلال منع تجول ليلي.

في تلك الديوانية التقى ميثم بشخص يدعى (حسن المهنا)، وهو رجل عسكري له نشاطات واضحة في ما عرف بعد ذلك بالمقاومة المسلحة التي أخذت تنمو بشكل تدريجي برجال عسكريين في سلك القوات المسلحة والشرطة والحرس الوطني الذين تخفوا وسط المواطنين، وأنشأوا خلايا مسلحة سرية من المقاتلين الكويتيين ومن معهم من العرب والمقيمين الشرفاء تهدف إلى توجيه ضربات موجعة لقوات الاحتلال وإرهاقه كخطوة أولى لبداية طريق النضال والتحرير.

ولعب حسن المهنا دوراً كبيراً في إدخال ميثم ومن معه إلى الخلية التي يقودها، وقام بتدريبهم على السلاح، ورصد العدو، وجمع المعلومات، وكتابة وتوزيع المنشورات التي تحث الناس على العصيان المدني للاحتلال البغيض. وبذلك يكون ميثم قد انتقل من مرحلة المقاومة السلمية التي انخرط فيها عند بداية الاحتلال الى مرحلة المقاومة والكفاح المسلح والتي ستكون أكثر خطورة وأهمية بالنسبة للشباب.

قرر ميثم المشاركة في عمليات فدائية، فأخذ يطلب بإلحاح من القائد أن يشركه في بعض العمليات التي تنفذها الخلية في أي من مناطق البلاد. لكن المهنا كان له رأي آخر،

أراد لميثم مهام أخرى تناسب قدراته، فأرسله في عمليات لرصد ومتابعة العدو وجمع المعلومات عنه استعدادا لتنفيذ عمليات مسلحة وكمائن لجنود الاحتلال. فأرسله في مهام عدة إلى منطقة خيطان حيث يوجد سوق لبيع الأجهزة الكهربائية يتجمع فيه عدد كبير من الضباط والجنود العراقيين بغية البحث عن فرص لشراء تلك السلع.

بعد مرور أسبوع، دخل ميثم إلى غرفة أخيه الأكبر علي فوجده عاكفاً على كتابة وتعديل مجموعة من الأوراق، فأدرك ميثم أنها المنشورات التي سوف يتم توزيعها على المواطنين والمقيمين كنوع من الحرب الإعلامية والنفسية ضد القوات الغازية، ودحضاً للأكاذيب التي تروجها عن الكويت وما يجري بها. وهي أيضا تعمل على رفع معنويات الناس وتعزيز إيمانهم بقضية بلادهم العادلة.

فعمل ميثم مع أخيه لإعداد منشور خاص بالمقاومة يكون له تأثير كبير. فاستطاعا أن يُعدا منشورا قوي التأثير كان هذا نصه:

«يا أبناء الكويت المخلصين...

قفوا في وجه الطغاة المحتلين واعملوا على طرده من أرضنا...

كونوا يداً واحـــدة وصفاً واحداً بوجـــه الطغاة، وقاوموا جيش الاحتلال بكل الطرق السهلة والصعبة، ساندوا إخوانكم بالمقاومة، وقدموا العون إلى الجميع...

إنكم أمام حزب كافر هو حزب البعث الذي يتزعمه حمار العرب هدام حسين، فله من الفضائح والجرائم ما لا يُعد ولا يُحصى...

فكونوا له نداً ينصركم الله، لأنكم على حق...

ولا ترضوا أن تعيشوا تحت مظلة الطاغية...

قاوموا كيفما اســـتطعتم بالســـلاح، بالفداء، بالعصيان، بالرفض بالقول والفعل...

كونوا يداً واحدة يكن الله معكم...

واعلموا أن نصر الله قريب، وهو مع المظلوم على الظالم ولو بعد حين...

الله أكبر الله أكبر والنصر للكويت...»

ووضع في ذيل المنشور رسم يمثل حمارا له وجه الطاغية هدام العراق وكتب على جسد الحمار «حزب البعث».

قام ميثم بمســـاعدة أخيه في توزيع ذلك المنشور الوطني على الناس ســـراً، وذلك تنفيذاً لرسالة المقاومة في إشراك

مختلف شـــرائح الشعب في الكفاح والنضال ضد من تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء، والوصـــول إلى الغاية الكبرى ألا وهي التحرير واستعادة العزة والكرامة.

***

في صباح يوم الثامن والعشرين من اغسطس، مر على بيت ميثم اثنان من أصدقائه الحميمين للقائه، كانا خالد الشواف، وفيصل الحساوي من لاعبي منتخب الكويت لكرة الماء، ففرح ميثم بزيارتهما له، وجلسوا معاً يتبادلون الحديث، ويستعيدون الذكريـــات الجميلة معـــاً لتلك الحياة الهانئة والســـعيدة التي عاشـــوها، قبل أن تغمر ســـمائنا الصافية غيوم سوداء داكنة، لتدخـــل البلاد في ظلام رهيب تحطمت فيـــه ذكريات الآباء، وأحلام الأبناء، فضاعت البهجة، وحلت محلها الكآبة والألم.

فـــي غمرة تلـــك المرارة، أســـتطاع الأصدقـــاء الثلاثة أن يسترجعوا بعض الذكريات السارة، الأمر الذي أزال عن كاهلهم بعض الأسى. هنا اقترح ميثم على أصدقائه أن يذهبوا جميعاً لزيارة صديقهم اللاعب وليد المشوطي، حارس مرمى المنتخب، والذي كان يعمل ملازم إطفاء في مركز مدينة الأحمدي.

استقل ميثم وزميلاه سيارة أخيه الأكبر علي إلى الأحمدي، بغرض زيـــارة صديقهم، وكذلك لبحـــث امكانية تطوعهم في العمل لدى المطافئ: ساروا طوال الطريق يتحدثون عن رؤاهم لمـــا يحدث الآن في البـــلاد، وعن آمالهم، وعـــن بعض الأمور

التي تكلموا عنها في الماضي، مع اســترجاع بعض الذكريات الطريفة والنكات التي جعلتهم يضحكون منها ملء القلب.

قبل الوصول إلى مدينة الاحمدي، وعلى طريق الفحاحيل الســريع، اســتوقفتهم نقطة تفتيــش عراقية علــى تقاطع الفحاحيل مع شارع الأقصى «جسر بيان»، ما أن توقف ميثم مقابلها حتى مال عليه أحد جنود الاحتلال وسأله بنبرة تقزز وبغض:

«أريد بطاقاتكم الشخصية...»

ناوله ميثم هويته وأخذ من زميليه بطاقاتهم ليناوله بدوره إياها. تناولها الجندي ونظر بها نظرة قصيرة، ثم سأل بشكل روتيني:

«أين أنتم ذاهبون؟...»

رد ميثم بهدوء:

«إننا ذاهبون إلى الأحمدي لزيارة صديق...»

نظر إليه الجندي باســتهزاء، هز رأسه بحركة تدل على ذلك، ثم نظر في وجوه الراكبين في الســيارة نظرة خاطفة، ليعطــي ميثــم البطاقات، ويشــير لــه بحركة مــن يده بأن يتحرك.

تسلم منه ميثم البطاقات وأكمل طريقه.

بعد بضعة كيلو مترات، وبالتحديد عند جسر «المهبولة»، فإذ بهم يتفاجأون بنقطة تفتيش أخرى، هذه المرة كان فيها ضابط وعدد من الجنود. هذه المرة بدت وجوههم أكثر تشدداً.

ما أن توقف ميثم عند الحاجز حتى تكرر نفس الحوار مع الضابط، لكن لهجته كانت أكثر تشـــدداً، في هذه المرة طلبوا منه بنبرة آمـــرة أن يفتح صندوق الســـيارة الخلفي للتفتيش، ولم يســـفر التفتيش عن شيء، لكن الأصدقاء الثلاثة لاحظوا نظرات الشـــك والريبة في عيون الضابط والجنود فيما يتعلق بهـــم. فتجاهلوا تلك النظـــرات في محاولـــة لامتلاك رباطة الجأش، فهم لا يملكون شيئاً يستحق الخوف أو القلق.

مرت بضع دقائق، ثم أشار لهم الضابط بالرحيل، فتحركوا مكملين طريقهم، فتساءل فيصل مستغرباً:

«ما ســـبب كثرة نقاط وحواجـــز التفتيش هذه الأيام، رغم مرور أكثر من أسبوعين على الاحتلال؟!...»

رد عليه ميثم مفسراً:

«أعتقد أن السبب هو تصاعد حدة عمليات المقاومة منذ الحادي عشـــر من أغســـطس، لذا أصبـــح التفتيش أكثر دقة خاصة بالقرب من المناطق الحساسة...»

قال خالد:

«أرجـو ألا نصـادف نقاطـاً أخـرى حتـى نصـل إلى الأحمدي...»

قال ميثم مبتسماً:

«لا تقلـق... صارت الأحمدي قريبة جـداً، لا أعتقد أن هنـاك نقاطـاً أخرى إلا قـرب منطقة المصافـي وخزانات البترول...»

لكن، ما أن وصلوا إلى مدخل المدينة الصغيرة حتى وجدوا نقطة تفتيـش، هذه المرة تختلف عن النقطتين السـابقتين، كانت هناك مجموعة كبيرة من الجنود، كما تواجد مجموعة من الرجال بملابس مدنية يرتدون أحزمة تحوي مسدسات. فأدرك الثلاثة أن هؤلاء من الاسـتخبارات، واصلوا السـير البطيء وراء السـيارات التي تتكاثر على الطريق الذي أخذ يضيق إلى أن وصلوا إلى الحاجز.

مـا أن رآهم ذلـك العنصـر الاسـتخباراتي الذي تدل ملامح وجهـه على الشراسـة والقوة، كما تـدل على اللؤم والخسـة، حتى أشـار إليهم مـن دون كلام أن يترجلوا من السـيارة ويبرزوا بطاقاتهم الشـخصية. ترجـل الثلاثة من السـيارة، وبدأ التفتيش، هذه المرة مكثفا شمل كل مكان في السـيارة، في الصندوق الخلفي، وتحت غطاء المحرك، وفي

الــدرج الداخلي، والمقاعد وما تحتها. في حين يمطر العنصر الاســتخباراتي الثلاثة بالأسئلة عن وجهتهم، ومن يعرفون في الأحمدي، وســبب زيارتهم وغيرها. لاحظ الشبان الثلاثة أن الســيارات التي تُقل عائلات لم تكن تخضع للتفتيش، ويسمح لها بالمرور بســرعة، بينما الســيارات التي يركبها شــبان لا تتجاوز أعمارهم العشــرين عاماً كان توقف وتفتيش بشــكل دقيق، فبدأت تساورهم المخاوف من أن تكون هنالك مشكلة.

فجــأة، صرخ أحد الجنــود، عندما مد يــده تحت مقعد الســائق، فألتفــت جميع من هم موجــودون حوله بمن فيهم الشــبان الثلاثة، لم تكن صرخة ألم أو ما شابه ذلك، بل كانت صرخة فرح لأنه وجد شــيئاً ما. أخــرج يده من تحت المقعد، فإذ بهــا تقبض على مجموعــة من الأوراق والصــور الملونة، فأحضرهــا وهو يردد بصوت عال «لقد اصطدناهم، إنهم من المقاومة» ليعرضها على رئيســه ذلك العنصر الاســتخباراتي الذي تلقفها سريعا ليرى ما تحتوي.

وكانت الصدمة أكبر من أن يحتويها الشبان الثلاثة، كانت محتويــات تلك الأوراق تتكون من ذلك المنشــور الوطني الذي يحــوي صورة الحمــار بوجه الطاغية، والــذي عمل مع أخيه في توزيعه، بالإضافة إلى كتاب إرشــادات يشــرح للمواطنين والمقيمين كيفية التعامل مع الأسلحة الكيميائية. ولم يكن هذا فحسب بل تم العثور على صور لأمير البلاد وولي العهد وعلم الكويت، في مكان ما في صندوق السيارة الخلفي، تحت عجلة الاحتياط.

كان ميثم في الأوانة الأخيرة يستعمل سيارة أخيه «علي» وان المنشورات والصور كانت منسية تماماً وأنها من بقايا «يوم التكبير» في يوم السبت الموافق الحادي عشر من اغسطس، حين وقف الكويتيون على أسطح المنازل ورفعوا أصواتهم بالتكبير.

تجمهر بعد ذلك عدد من الضباط، والجنود وعناصر الاستخبارات حول الفتية الثلاثة المغلوب على أمرهم، ثم قاموا بتقييد كل من ميثم وفيصل معاً بالكوفية، كما ربطوا خالد بسلك كهربائي، ثم ألقوهم على الرصيف وانهالوا عليهم ضرباً استمر قرابة العشر دقائق أمام المارة من الناس الذين شعروا بالشفقة والتعاطف مع هؤلاء الشبان الثلاثة، وبالاشمئزاز مما يفعله هؤلاء الطغاة الذين افتقروا لأبسط مشاعر الإنسانية.

بعد ذلك، اقتاد الجنود الشبان الثلاثة إلى سيارة نقل عسكرية قذرة، انطلقت بهم إلى قلب مدينة الاحمدي التي كانوا قد أتوا إليها وهم أحرار، فإذ بهم يقتادون إليها مكبلين بالقيود مسلوبي الحرية، ومتجهين إلى مصير مجهول.

***

توقفت السيارة العسكرية أمام المقر الرئيسي لشركة نفط الكويت، حيث حول الغزاة مكاتب ذلك المبنى الجميل ذي الطراز المعماري الغربي إلى معتقل رهيب لأبناء الكويت. أنزل

الجنود الشـــبان الثلاثة من السيارة جراَ وضرباً، ثم أدخلوهم إلى المبنى، أدخلوهم إلى قاعة كبيرة، وهناك انهال عليهم عدد من الجنـــود الغزاة ضرباً بالعصى شـــمل مواضع مختلفة من أجســـامهم. هذا الإجراء يسمونه العراقيون العاملون في هذا المجال القذر، مجال التعذيب «بالوجبة الأولى» التي يستقبلون بها «ضيوفهم».

ثم قامت مجموعة من الذين يرتدون الملابس المدنية بجرهم بقـــوة إلى غرفـــة جانبية، اتضح أنها غرفـــة للتحقيق. وهناك انهالت عليهم الاســـئلة من ثلاثة أشـــخاص كانوا في الغرفة، ويحيط بهم مجموعة من العناصر المسلحة.

صرخ أحدهم في الشبان قائلاً:

«من هم زملاؤكم في الخلية التمردية؟...»

رد ميثم بصوت ضعيف حاول أن يتمالك به نفسه:

«نحن لسنا أفراداً في أي خلية تمردية...»

نظر إليه العنصر شزراً ولوح بالمنشور أمامه وقال:

«إذا كنتـــم كذلك، فماذا تســـمون هـــذه الأوراق؟! ... إنها مـــواد تحوي أمـــوراً خطرة، أتعرف ما هي ... إنها منشـــورات الجماعات المتمردة ... من أين أتيت به؟»

«لا أدري كيف جاءت تلك المنشـــورات إلى سيارتي ... إنني لا أعرف عنها شيئاً ...»

«تكلــم، مــن أين أتيت بهــا؟ ما هو مصدرهــا؟ وأين تم توزيعها؟...»

«لا أعرف عن هذه المنشورات شيئاً...»

نظر إليه المحقق بشيء من الازدراء وقال:

«أعتــرف، ما اســم المجموعة التــي تنتمــون إليها في المقاومة؟...»

حاول ميثم التماسك مجدداً أمام هذا الضغط النفسي، لكــن الأمور كانــت صعبة عليه وعلى زميليــه خالد وفيصل في مواجهة إعصار الأسئلة والاتهامات التي تدهمهم، والذي يزيد من صعوبة الأمر أنهــم لم يكونوا على علم بوجود تلك المنشورات في السيارة. لكن ميثم استطاع أن يجيب قائلاً:

«إننــا لا ننتمــي إلى أي من تلك التي تســميها جماعات التمرد، نحن لســنا عسكريين أو مقاتلين إننا قوم عاديون لا دخل لنا بتلك الأمور التي تتحدث عنها...»

رمقه المحقق بنظرة فاحصة ثم عقب قائلاً:

«حسناً، ما هي وظائفكم بالأساس؟...»

«نحن طلبــة في كلية التربية الأساســية قســم التربية البدنية...»

«آه إذن أنتم رياضيون... حسناً... وما سبب مجيئكم إلى هنا؟...»

«أتينـــا لزيـــارة صديقنـــا الـــذي يعمل في مركـــز الإطفاء هنا...»

قاطعة مسرعاً:

«اهو شريككم في الخلية أليس كذلك؟! تكلم...»

قال ميثم معقباً:

«كلا ... إنـــه صديقنا، وزميلنا في الفريـــق الرياضي، إنه حارس المرمى...»

ضحـــك المحقق ضحكـــة مجلجلة وضحـــك الباقون معه وقال:

«حارس مرمى ... هه ...»

التفت إلى خالد وفيصل وسألهما بنبرة قوية:

«ماذا تعرفان عن تلك المنشورات؟...»

رد كل منهما:

«لا نعرف شيئا عنها، لقد كنا في رحلة لزيارة صديقنا، ولا نعرف أي شيء عن تلك الأوراق...»

«هل أنتم أيضا معه في الفريق نفسه؟...»

قال الاثنان بصوت واحد:

«نعم...»

أخذ المحقق نفساً عميقاً، وزفر دليلاً على ضيقه وقال:

«يبدو أنكم تراوغون كثيراً ... أنتم لا تريدون الإفصاح عن مصدر تلك المنشـورات، ولا الاعتراف بتنظيمكم ... حسناً، سنعرف كيف نجعلكم تتكلمون...»

أشار إلى رجاله فأعطوهم «الوجبة الثانية» من الضرب، وبعد فترة توقفوا وعاد التحقيق للمرة الثانية، وهذه المرة دون فائـدة أيضاً. وعلى مدى ثلاث سـاعات لم تأت التحقيقات بشـيء جديد. هنا ضاق المحقق الذي يبدو أنه ضابط كبير في جيش الاحتلال ذرعاً بذلك، وقال:

«حسـناً... هؤلاء الصبية يريـدون أن يصبحوا أبطالاً، اعدموهم حـالاً، كل واحد منهم خمـس رصاصات...» كان ذلك أسلوب خسـيس اعتادت عليه تلك المخابرات البغيضة فـي التعامل مع العراقيين الذين يعارضـون نظام الطاغية، ولا يسـتطيعون انتزاع أي اعتراف منهم بذلك، فيلجأون إلى إعلان موضوع الإعـدام أمام المتهمين، لتدميـر معنوياتهم، فيميلون لشراء حياتهم بالاعتراف الذي يريده المحققون.

وعلى الرغم من خطورة ذلك الإعلان على شـبان صغار مثـل ميثم وخالد وفيصل الذين لم يعرفـوا مثل تلك الأمور في بلادهم التي أعطتهم الأمـن والأمان والحب والاحترام، وحفظتهم بعد اللّه من تلك الشرور التي توجد في أمم أخرى.

إلا أنهم تماسكوا بفعل الإيمان الذي يعمر قلوبهم، وحاولوا ألا تصدر منهم أي محاولة استرضاء لأولئك السفلة الذي تخضبت أيديهم عبر السنين بدماء الأبرياء والأحرار الذين رفضوا ظلمهم في بلاد الرافدين.

هجم الجنود على الشبان الثلاثة وأعصبوا أعينهم، ثم اقتادوهم إلى سيارة عسكرية أخرى، حيث حملتهم إلى جهة أخرى مجهولة، ما أن وصلت إلى المكان المقصود حتى أزالوا العصابة عنهم، ليكتشفوا أنهم قد نقلوا إلى مكان يشبه المدرسة في منطقة الرقة، اتضح أنها (ثانوية سالم المبارك الصباح). وقد تبعتهم إلى هناك سيارة عسكرية تقل عددا من الجنود العراقيين المدججين بالسلاح، فبدا الأمر وكأنه فريق إعدام. ثم عاد العراقيون استجواب الشبان الثلاثة من جديد في المكان ذاته، لكنهم لم يتوصلوا إلى شيء جديد. فأمر المسئول عن المكان بعد مرور ساعة من التحقيق أن يتم نقلهم إلى مكان آخر حيث سيكون بمثابة «فرصة أخيرة للاعتراف». تحركت السيارات من جديد، السيارة التي تقل الشبان الثلاثة، ومن ورائها سيارة فريق الإعدام، متجهين إلى جهة أخرى غير معلومة.

لكن الرحلة لم تكن طويلة، فقد وصلوا إلى مكان، اتضح أنه مخفر الرقة. حال وصولهم، أنزلوا جرًا وضرباً إلى داخل المخفر حيث كانوا على موعد مع كابوس جديد لا يعلم نهايته إلا اللّه.

***

في مخفر الرقة، كانت «الوجبة الخاصة» بانتظارهم، مع مجموعة أخرى من أولئك المجرمين، لكن هذه المجموعة بدت أكثر قسوة ووحشية من الأولى. فقد استمر ضربهم مدة نصف ساعة أثناء التحقيق من قبل أحد الضباط، الذي أصر على معرفة من هم رؤساء المقاومة الكويتية، وما هي تشكيلاتهم، ومناطق عملياتهم، والعديد من التفاصيل الأخرى.

فأجابه الشبان بأنهم لا يعلمون عن ذلك شيئاً وأنهم أناس عاديون لا دخل لهم بتلك الأمور، وأنهم لا يعرفون مصدر تلك المنشورات والمواد. فعاود العراقيون الضرب من جديد، ثم تم حبس الثلاثة في زنزانة واحدة حتى اليوم التالي.

كان أكثر المتأثرين من تلك الكارثة هو ميثم، الذي كان يشعر بالذنب الكبير على توريط صديقيه في تلك المشكلة. فأخذ يردد أسفه لهم، وبأنه السبب في كل ما حدث، وما سيحدث لهم. فهو الذي اقترح عليهم التوجه إلى الأحمدي لزيارة وليد المشوطي، كما أن السيارة التي عثر على المنشور فيها كانت سيارة أخيه علي، في حين أنهم لا علاقة لهم بذلك المنشور.

لكن أصدقاءه لم يستطيعوا أن يردوا على ذلك، لهول الخطب عليهم، ولاستسلامهم لأمر اللّه وقضائه. فلا فائدة ترجى من تبادل اللوم، أو العتاب، ومن الخير القبول بإرادة اللّه، ودعائه كي يلطف بهم.

في صباح اليوم التالي، تم إيقاظ الشـبان الثلاثة بطريقة قاسية ضرباً وركلاً،ثم أخذوهم إلى الطابق العلوي داخل مخفر الرقة، وهناك بدأت جولة جديدة من التحقيقات أخذت شكلاً مغايراً لما خبروه طوال الأربع والعشرين ساعة الماضية.

كان الثلاثـة يئنون تحت تأثير التعـب، والألم الذي يجتاح أجسـامهم جراء وجبـات الضـرب المتكررة. كمـا أن تأثير الجوع والعطش الذي يعصف بهم، قد زاد من وضعهم سـوءاً، فأصبحـوا قاب قوسـين أو أدنى من الانهيـار. لكنهم بفضل اللّه تعالى تماسـكوا، واسـتطاعوا الصمود كما صمد أهلهم في الكويـت أمام تلك المحنة العظيمة، كاشـفين عن معدنهم الأصيل والنفيس الذي كلما صقل ازداد لمعاناً.

الجولـة الأولى مـن التحقيقات، أخذت شـكل جلسـات التحقيـق الانفرادي كل على حدة. ثـم بعد ذلك أخذت موجة التعذيب تتصاعد مع كل جلسـة تحقيق انفرادية مع كل واحد منهم.

ثـم دخلت الجولـة الثانية، وكانـت أكثر سـوءاً، فقد بدأ اسـتخدام التعذيب في الكهرباء، ثم تحولت للضرب بقبضات اليد على الوجه والصفع على الأذنين، كما استخدموا الأنابيب المطاطية والعصى الغليظة في العملية، وانتهت بالضرب بآلات حادة سببت جروحاً دامية.

ثم بدأ العراقيون لعبــة الأعصاب معهم، فبعد أن أدخلوا فيصل أولاً إلى التحقيق وعرضوه للتعذيب، أخرجوه ليدخلوا مكانه خالد، وفي التحقيق قالوا له:

«لقد انتهت اللعبة يا خالد، لا داعي للنكران، لقد أعترف فيصل بكل شــيء، لا يوجد مجال للمراوغة بعد ذلك... هيا اعترف»

لكــن خالد لم يصدق مــا قاله العراقيــون عن اعتراف فيصل، فيصر علــى موقفه من أنه لا علاقة لهم بالاتهامات الموجهة لهم. بعدها انهالوا عليه ضرباً وتعذيباً، ثم أخرجوه، ليبــدأوا اللعبة من جديد مع ميثم، ويخبروه أن خالد وفيصل اعترفوا بكل شيء. أما هو فلا يصدق ما يقولونه ويصر على موقفه دون أن يخون أصدقاءه، فيزداد ضربهم له بوحشــية حتى تسببوا في خرق طبلة أذنه من كثرة صفعهم على وجهه، فأغمى عليه من شدة الضرب. لكن المجرمين أخذوا يرفسونه في بطنه وظهره حتى استيقظ من إغمائه.

عاد العراقيون مرة أخرى لنفس اللعبة مع فيصل، عندما أخبروه أن ميثــم أخيراً اعترف لهم بأنــه رئيس المجموعة، وأنــه (أي فيصــل) وخالد طرفان رئيســيان فيها. ويبدو أن لعبة الخداع تلك قد أثرت في الشبان الثلاثة، فلم يستطيعوا الصمود أكثر، هنا توقفت عمليات التحقيق معهم. وزيادة في الخداع والوقيعة بين الأصدقاء الثلاثة، فقد أعطى العراقيون قطعة خبز إلى فيصل ليســد رمقه بها، وكأنهم يعلنون أمام صديقيه بأنها مكافأة لك على وشايتك بهم.

هنا تفجرت مشاعر الوطنية والشهمة في روح ميثم عندما أعيـد إلى التحقيق، فأعترف على نفسـه بأنه هو الذي طبع المنشـور ووزعه، وهذه بقايا دفعـة منه، وذلك كي يبعد المعاناة عـن صديقيه اللذين لا ذنب لهما بتلك المسـألة وينقذهما من ذلك المصيـر الرهيب. فكانت تلك التضحيـة هي من أوقفت مسلسل التعذيب والألم.

بعد مضي ليلة من الألم والمعاناة، أشـرقت شمس الصباح عن يوم جديد، أتى فيه العراقيون ليأخذوا ميثم إلى جهة غير معلومة، قد تكون البصرة، ثم جاءوا بعد ساعة ليأخذوا خالد وفيصل، اعصبـوا أعينهما، ثم أركبوهما السـيارة إلى مكان مجهـول. وطوال الطريـق أخذ العراقيون يقولـون لهم بأنهم سـوف يقومون بإعدامهم وإلقاء جثثهـم في الصحراء، الأمر الذي جعل كلاً من خالد وفيصل يتلو الشـهادتين لشـعورهما بالخوف ومن قرب النهاية.

لكن اللّه قدر حسـن التقدير، فتوقفت السـيارة فجأة في مكان ما، وتم إنزالهما منها، وعند إزالة العصابة عن عيونهم، عرفوا أنهم أمام مخفر الصباحية. وهناك بعد تحقيق شـكلي دون ضرب، تم أخذ توقيع كل منهما على حدة على اعترافاتهم. لكن عندما سـأل كل منهما عن ميثـم، رد العراقيون بأن هذا ليس من شأنكما وإنكم إن سألتم مثل هذا السؤال مرة أخرى سوف نقتلكما.

خرج كل من فيصل وخالد كلاً على حدة، فقد ذهب خالد سـيراً على الأقدام إلى مركز إطفاء الاحمدي لرؤية اللاعب وليد المشـوطي. أما فيصل فقد سار على قدميه إلى أن بلغ الخط السريع، لكنه فوجئ بالاستخبارات العراقية تلحق به، فانتابـه الخوف من أن يقوموا باعتقاله مرة أخرى، لكنهم ما أن توقفت سيارتهم أمامه حتى عرضوا عليه أن يوصلوه إلى منزله، لكنه اعتذر منهم، وأراد أن يبتعد عنهم قدر الإمكان. عاودوا عروضهم عليه بأن يعمل معهم، في التبليغ عن أفراد المقاومة، لكنه قال:

«إنني لا أخرج من البيت، لذا فإنني لن أستطيع أن أنفعكم بشيء»

لقد كان ذلك ما أخرجه من قبضتهم ليسترد حريته.

أما ميثم ذلك البطل المليء بالتضحية والإيثار والوطنية، فقد بدأ جولته الرهيبة في عالم المعتقلات والتعذيب. فأخذوا ينقلونـه ما بين البصرة، والجهراء، والفردوس، ومجمع بيبي السالم وقصر نايف وغيرها من الأماكن التي حتى لم يستطع أن يتعرف عليها، دون أن يدري ما هي نهاية تلك الجولة.

الحال في بيت أسـرة ميثم، يدل على المعاناة والألم. الأم تبكـي على ولدها الذي أخذه هؤلاء المجرمون، والأب يحاول أن يتمالك نفسـه دون الوقـوع في دوامـه العواطف، يردد برابطة جأش:

«لا داعي لكل هذا ... ميثم رجل ليس طفلاً، وهو قادر على مواجهة ذلك الموقف بشـــجاعة كبيرة» لكن قلبه ينفطر على ما يجري لفلذة كبده.

شقيقه الأكبر «علي» أخذ يبحث عنه في كل مكان. فبعد أن علم علي وإخوة ميثم بخبر اعتقال أخيهم، ذهبوا مع أختهم إلى مخفر الأحمدي ليسألوا عنه، فعثروا على سيارته هناك.

وعندما سألوا الضباط والجنود العراقيين هناك، أخبروهم بأنـــه قد نقل ومن معه إلـــى مخفر الرقة. ما أن وصلوا هناك، حتـــى منعهم العراقيـــون من الدخول، كمـــا امتنعوا عن تقديم أي نـــوع من المعلومـــات عنه، بحجة عدم معرفتهم بالأســـماء. ولما أوضح أخوته أكثـــر عنه، قال العراقيون إنهم يعرفونه بأنه الشـــخص «أبو اللحيـــة» أي صاحب اللحية حســـب وصفهم، وهـــم لا يعرفون بعد ما ستســـفر التحقيقات عنه. لكن عندما ألح أخوته على معرفة متى ســـيطلق ســـراحه، قام العراقيون بتهديدهم وإبلاغهم بعدم القدوم إلى المكان مرة أخرى.

أخذ علي يتصل مرة بخالد الشواف، ومرة بفيصل الحساوي فـــي محاولة لمعرفة مصيـــر ميثم. لكنهم لـــم يكونوا على علم بمكانه، حاول أن يســـأل في أماكن متفرقة يُحتجز بها الشباب الكويتـــي، لكن الردود من جانب الغزاة إما كانت متضاربة غير واضحة المعالم لا تدل على شـــيء، وإما كاذبة تنكر وجود ميثم كحالـــة اعتقال. وبذل كلُ من أقارب ميثم وأصدقاؤه كل ما في وسعهم في محاولة لإطلاق سراحه، دون جدوى.

مر ما يزيد على الشـــهرين على الفاجعة التي ألمت بتلك الأرض الطيبة، والألم يعصـــر القلوب، ويمنع البهجة من أن تشـــع في بيوت الكويتيين الصامدين، الذين تطحنهم دوامة الحيـــاة ما بين الســـعي في النهـــار لتأمين الحاجـــة للغذاء والشـــراب، والبحث عـــن الأمان فـــي الليـــل، عندما بدأت جحافل الاحتلال بترويع الناس واعتقالهم وقتلهم عشـــوائيا، بعد أن استشـــعرت أن إقامتها على هـــذه الأرض الغالية لن تكون سهلة مع اشـــتداد المقاومة الباسلة في مواجهة كل يوم بهجمات وعمليات فدائية تجلت فيها بطولة شـــعب الكويت، وهـــم يدحضون بها النظريات التـــي روجتها الآلة الإعلامية والدعائية لأزلام البعث، إن ذلك الشـــعب الصغير، هو شعب مترف يحب الحياة، سوف يستسلم لواقعه الجديد بسرعة.

رن جـــرس الهاتف في منزل أســـرة ميثـــم التي أضناها التعب والأســـى من جراء الانتظار لأي بارقة أمل في الإفراج عنـــه، وإذا برجـــل ذو لهجة عراقية يخبرهـــم بأن ميثم يقبع في الســـجن المركزي بمنطقة «الفردوس». وإذا أرادوا رؤيته فعليهم أن يجلبوا معهم بعض الطعام والملابس له. وقد حدد المتصل الزيارة في صباح يوم الاثنين الموافق الخامس عشـــر من أغسطس، بالأحرى بعد يومين بالتحديد.

أغلـــق الأب ســـماعة الهاتف، فأخذ يشـــعر بالأمل يعود بتباشـــيره ليغمر ذلـــك البيـــت الحزين على أحـــد أفراده. واســـتعدت الأســـرة لزيارة ولدها الغالي بعـــد ما يقارب من خمســـة وأربعين يوماً من الغياب (الاعتقال). إن يوم الاثنين

لقريب، لكن، ما أبط الســاعات حين يعدها المرء الذي ينتظر بشوق ولهفة رؤية شخص عزيز عليه، لكن كل ذلك لا يهم مهما طال الانتظار إذا تكلل بالنهاية بلقاء الإنسان لمن يحب.

***

الشمس توشك أن تطل على الدنيا، في حين يسبقها نورها ليبدد ظلمة الليل الطويل، ويبشــر بيوم جديد قد يحمل الأمل ويثبت النفوس على ما تعانيه.

ســيارة عســكرية تمخر الطريــق بصوتها المــدوي، وقد جلس فيهــا ضابط تبدو عليه علامات من لــم ينم منذ فترة طويلة، مجهــد، تعب، تتصاعد منه رائحــة كريهة، وقد أنزل زجاج النافذة لينعم بنســيم الفجر عله يمنحه بعض النشاط، وفــي الخلف جلس ثلاثة جنود ببنادقهم الآلية حول شــخص بدا وكأنه قد خرج لتوه من كهف يرتدي ثوباً (دشداشــة) رثة قذرة ملوثة بالدم والقاذورات، له لحية كثة، وشعر طويل لم ير المــاء منذ فترة طويلة. ملقى على وجهه على أرضية الســيارة المعدنية، وقد أعصبت عيناه، ويداه من الخلف.

ســارت السيارة في الشوارع النائمة، وبين البيوت الهامدة بســكانها النيام نحو هدف معين، اتضح أنه منزل أسرة ميثم، توقفت الســيارة أمــام المنزل، ليترجل ذلــك الضابط المترنح من أثر الخمر إلى الشــارع الخالي من أي حركة. ســار بضع خطــوات ثم توقف ونظر إلى يمينه، ثم إلى يســاره ليتأكد من

شـــيء ما. ثم أشار لجنوده بحركة سريعة فترجلوا من الباب الخلفي الكبير للســـيارة العسكرية، وجروا معهم ذلك الرجل ذو اللحية الكثة والذي لم يســـتطع السير من شدة إصاباته، ما أن أصبحـــوا أمام الضابط حتى أنزلـــوا الرجل الذي لم يكن ســـوى ميثم علـــى ركبتيه وابتعدوا إلـــى الوراء. فتحرك الضابـــط بحركة دار بها حول ميثم الذي لا يرى شـــيئاً إلى أن أصبح بمواجهته، فأخرج مسدســـه من جرابه المثبت على الخصر ووجه إلى وجهه، ثم أشـــار إلـــى أحد جنوده بحركة جانبية ســـريعة برأسه أن يذهب ليدق جرس المنزل. وعندما دق الجندي الجرس، بقلب اختفت منه كل خصال الإنسانية، وانعدمـــت به الرحمة والإيمان، أطلـــق ذلك الضابط الغازي النار على ميثم على رجلـــه كأجراء أول، ثم أطلق الرصاصة الثانية على وجهه لتخترق ويطلقها الحاجب الأيسر وتمضي مخترقـــة الجمجمـــة، لتخرج من الناحيـــة الخلفية لدماغه. ليخـــر ميثم على وجهه مضرجاً بدمائـــه الزكية على الأرض الإســـفلتية، وفاضت روحـــه الطاهرة إلى بارئها مع شـــروق الشمس.

دوى صوت الرصاصتين المتتاليتين ليدمر ذلك الســـكون الجميـــل الـــذي كان يغمر المكان. وتحـــرك الضابط وجنوده ليركبوا الســـيارة ويغادروا المكان مســـرعين، قبل خروج أهل البيت.

وفـــي تلك اللحظـــة، كان هنالك رجلان يســـيران بعد أن خرجا من المسجد عقب تأدية صلاة الفجر، في طريقهما إلى منزليهما، وهما يتبادلان الحديث، فسمعا صوت الرصاصتين، فأسرعا لمعرفة ما يجري، فإذ بهما يشاهدان سيارة عسكرية تخرج من الشارع مسرعة لتختفي عند بلوغها الطريق الرئيسي. ثم نظرا إلى الناحية التي قدمت منها فإذ بهما يلمحان شـــيئاً ملقـــى عند الباب، عرفوا أنه رجل تم اعدامه من قبل «الجنود الأشاوس» فأسرعا إليه علهما يستطيعان فعل شيء ما. خرج الأب الـــذي كان ينتظر يوم الاثنين بفـــارغ الصبر لكي تكتحل عيناه وعينا الأم برؤية ابنهما الذي انقطعت أخباره عنهما منذ ما يقارب الخمســـة والأربعين يوماً، بلهفة ليرى بأم عينه هول ما فعله الغزاة. رأى ابنه الحبيب ملقى على الأرض وسط بركة من الدماء، فأطلق صرخة ملؤها اللوعة والألم معبراً عن شدة الصدمة التي احتاجته.

«الله أكبر.. الله أكبر»

تبعته الأم التي جذبتها الصرخة، لترى نفس المشهد الأليم، فخرت على الأرض صارخة وهي تنتحب:

«لقد ذبحوه... ذبحوه...»

في الوقت نفســـه وصـــل الرجلان اللذان شـــهدا الواقعة المؤلمـــة إلى المـــكان، وقدما بســـرعة ليـــروا الأب والأم بحالة تعيســـة، فأخذا الأب واحتضناه وهما يواســـونه على مصابه الجلل وأخذا يرددان:

«احتسبه شهيداً إن شاء الله... له الجنة إن شاء الله...»

فأندفع باقي الأخوة والأخوات الذين أتوا متأخرين، ليشهدوا ذلك المنظر، ويزيدوه الكثير من الألم والحسرة.

بعد مرور نصف ساعة، بدأ الناس تتجمهر في مسرح الجريمة النكراء، فقدم بعض الجنود من مركز تجمع لهم في مدرسة على ابن أبي طالب القريبة، فأخذ أحدهم يسأل والد الشهيد عما حدث بكل وقاحة تدل على انعدام الحياء في سلوك أولئك الغزاة الجشعين، وكأنهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك الحادث. فتمالك الوالد نفسه، وأجاب بصوت منتحب والدموع تملأ مقلتيه قائلا:

«لا ندري ما حدث، سمعنا طلق ناري وطرق على الباب، فخرجنا ورأينا ما ترون الآن...»

فطلب الجندي بكل صلف وفظاظة من الأسرة عدم تحريك جثمان الشهيد، وعدم الإقدام على دفنه دون الحصول على تصريح بذلك وإلا تعرضوا لأشد العقوبات. ليس ذلك فحسب، بل إن الضابط أخذ يحقق مع الوالد ويسأله أسئلة تدعو إلى السخرية والاستهجان، إذ وجهوا للأب المفجوع عدة أسئلة منها: «هل للقتيل أعداء؟!!...»

كل شيء متوقع ممن باعوا الدين والعروبة وحقوق الجيرة من أجل أطماعهم.

رد الأب المكلوم قائلا:

«لا .. لا يوجد أعداء له سواكم أنتم أيها العراقيون...»

فرد عليه الجندي بكل وقاحة وسخرية:

«يبدو أنك قد خرفت أيها الرجل لتقول كلاماً كهذا...»

وتحركـوا مبتعدين وهم يضحكون، غير مبالين بما ارتكبته أيدي زملائهم معدومي الضمير والإنسانية.

بقي جثمان الشـهيد على الأرض دون تحرك بضع ساعات إلى أن نقل إلى المستشفى الأميري، ومن هناك أخذه أبوه سراً ليتم دفنه في مقبرة الصليبيخات.

وتحركت الأسـرة تاركة المنطقة لتسكن في منطقة «بيان» حيث بقية الأسـرة. وهناك أقيم العزاء على روح الشهيد ميثم رحمـه اللّه. وظلت الأسـرة هنـاك، ولم تعـد إلا بعد تحرير الكويت.

هكذا صنع الشـهيد البطل ميثم المولـي رحمه الله صورة ناصعة البياض للبطولة والتضحية من أجل الوطن، فعاش في كنف الكويت رجلاً صادقاً مقداماً ومعطاءً غيوراً على حرمتها، واستشهد وهو يحميها ويذود عن ثراها. لذا فقد كانت تضحيته الكبـرى مثالاً تقتدي به الأجيـال القادمة في العزيمة والإباء. أما استشهاده فقد جعل منه طائر الفجر الذي حلق مع نسمات الصباح الأولى مرتفعاً ليبشر الأمة بالحرية، والنصر القريب.

بصمات خالدة

العطـــاء، بدرجاته المختلفـــة، قيمة إنســـانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسانية لأنهـــا تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنهـــا تجســـد الإيمان المطلـــق بأن الحيـــاة الحقيقية هي الحيـــاة الكريمة وهـــذه تستحق التضحيـــة بأثمن مـــا يملكه الإنسان وهو النفســـ... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويـــت للغزو.. لقد توقـــف الزمن عندها ليشـــهد هذه الملحمة الإنســـانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يســـتهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشـــأن الإنســـان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدتها التضـــحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضـــمن سلســـلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشـــهيد عن طريق تخليـــد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.